خلق الحياء في المنظومة السُّلوكيَّة الصُّوفيَّة الإسلاميَّة

(إعمال للعقل وإتمام للاستخلاف).

Creating modesty in the Islamic Sufi behavioral system

(Implementation of reason and completion of succession)

د. مُحمَّد حنَّاي *

جامعة الشَّهيد حمَّه لخضر – الوادي. الجزائر.

mohammed-hannai@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2024/02/23 تاريخ القبول 2024/04/01 تاريخ النشر 2024/06/22

الملخص:

الحياء خلق يبعث على فعل كلَّ مليح وترك كلَّ قبيح، فهو من صفات النَّفس المحمودة، وهو رأس مكارم الأخلاق، وزينة الإيمان، وشعار الإسلام؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ لِكُلِّ دينٍ خُلُقًا، وإنَّ خُلُقَ الإسلامِ الحياءُ**»[1]. ولهذا نجد أن مشايخ وعلماء الصُّوفيَّة قد اهتموا بهذا الخلق وجعلوه ذروة سنام تربيتهم لمريديهم، فأطروه حالاً ومقالاً.

فأحوالهم في هذا الجانب معروفة؛ إذْ كانوا يعظمون كلَّ خَلْقِ الله، من إنسان، وحيوان، وجماد، فيرون أنّها آيات الله وخيراته الواجبة التَّفكر والتَّأمل فيها لاستحضار جلاله وعظمته، حياءً منه في تعظيمها، من باب أنَّها نِعَمٌ، وجب شكرها وطرق الرَّأس في حضرتها، فَتُعظَّم لأنَّها من فعل العظيم، ألا وهو "الله".

* المؤلف المراسل

أمّا مقالهم في جانب "الحياء" فهو غزير؛ منها نصوص: "ابن مكسويه" و "الغزالي" و "ابن عربي"، وغيرهم كثر؛ حيث نجد أنَّ كبار الصُّوفيَّة قديما وحتى حديثاً – مثل: عبد الرَّحمن طه – قد ربطوا الحياء بالعقل، والعقل لا يتأتى نضجه إلاَّ بمقتضى **التَّربية**[2] بجميع وجوهها، التي تستند إلى **القدوة**، والقدوة ترتقي إلى درجة الحاكميَّة التي يستحكم وجودها إتمام **الاستخلاف** وفق المنهج الرَّباني الذي يرتكز على نصوص الشَّريعة –كتاباً و سنة – وحقيقة – أحوالاً و مقامات وتأملات –.

الكلمات المفتاحيَّة: الحياء – الصَّوفيَّة – التَّربية – اعمال العقل – الاستخلاف.

Summary:

Modesty is a characteristic that encourages one to do all that is good and to abandon all that is ugly. It is one of the qualities of the praiseworthy soul, and it is the head of good morals, the adornment of faith, and the emblem of Islam. The Messenger of God said: "Every religion has a character, and the character of Islam is modesty." This is why we find that the sheikhs and scholars of Sufism paid attention to this character and made it the pinnacle of their upbringing of their disciples, and they praised it every now and then. Their conditions in this regard are known; Since they venerated all of God's creation, from humans, animals, and inanimate objects, they saw them as God's signs and goodness that must be contemplated and meditated on in order to recall His majesty and greatness, out of shyness on Him in glorifying them, on the grounds that they are blessings that must be thanked and one must bow the head in their presence, so they are venerated because they are the actions of the Great. That is, "God." As for their article on the aspect of "modesty", it is extensive. Among them are texts: "Ibn Maksawayh," "Al-Ghazali," "Ibn Arabi," and many others. We find that the great Sufis in the past and even recently - such as: Abd al-Rahman Taha - have linked modesty to the mind, and the mind cannot mature except by virtue of education in all its aspects, which is based on role models, and role models rise to the level of governance, the presence of which warrants the completion of succession according to the divine approach, which is based On the texts of Sharia - the Book and the Sunnah - and reality - conditions, stations and reflections.

Keywords: *modesty - Sufism - education - works of the mind - succession*

مُقدِّمة:

الحياء واحدٌ من مقوِّمات السُّلوك الصُّوفي الذي تكتمل به صورة المربِّي القُدوة، لأنَّ مبعثه ومرتكزه الشَّرع الحنيف – كتاباً وسُنَّة – آيات بيِّنات وأحاديث نبويَّة شريفة، مُحكمة المباني والمعاني والمقاصد والمآلات؛ لأنَّ بتملُّكِهِ يكون الإنسان قد حقَّقَ منظومة البناء الإسلامي الكامل للفرد المؤمن – لأنَّ الحياء من شعب الإيمان – الذي أصبح يستشعر الحقَّ في كلِّ حركاته وسكناته وأحواله، وبهذا تحقَّق المقصد من خلقه ألاَ وهو الاستخلاف، وبه يكون قد عبَّرَ عن ذاته على أنَّه إنسان يُعْمِلُ عقله في فهم شرع ربِّه بحثاً عن مرضاته من خلال التزام أوامره واجتناب نواهيه ظاهراً وباطناً من حيث يرضى – الله – لا من حيث يرضى – الإنسان –[3].

وحتى نتعرف على مفهوم الحياء في المنظومة السُّلوكيَّة الصُّوفيَّة الإسلاميَّة، الذي هو اعمال للعقل واتمام للاستخلاف، ارتأينا طرح الإشكاليَّة التَّالية: **كيف يُجسَّدُ بناء خلق الحياء في المنظومة السُّلوكيَّة الصُّوفيَّة الإسلاميَّة؟**

وللإجابة عن هذه الإشكاليَّة استعنا بمجموعة من الأسئلة المساعدة، وهي:

1/– ما تعريف الحياء لغة واصطلاحاً؟

2/– ما المصادر التي يستند إليها الصُّوفيَّة في تربية خلق الحياء؟

3/– ما هي أقوال الصُّوفيَّة في الحياء؟

4/– كيف يتم تربية خلق الحياء عند الصُّوفيَّة؟

5/– ما أهداف الصُّوفيَّة من تربية خلق الحياء؟

أوَّلا– تعريف الحياء:

1)– لغة: لفظة مأخوذة من "الحياة"، ومنه الحيا للمطر... وعلى حسب حياة القلب يكون فيه خلق الحياءُ. وقلَّة الحياء من موت القلب والرُّوح، فكلَّما كان القلب أحيا كان الحياء أتمُّ[4].

والحياءُ: الاحتشامُ[5]، ويقال: حَيِيَ منه، إذا احتشم، وقد حَيِيَ منه حياءً واسْتَحْيَا واسْتَحَى... يقولون: اسْتَحْيَا منك واسْتَحْيَاكَ، واسْتَحَى منك و اسْتَحَاكَ؛ والحياء والاسْتِحْياء بمعنى واحد؛ يقول :ابن برى" في هذا المضمار:

لَوْلاَ الْحَيَاءُ لَعَادَنِي اِسْتِعْبَارُ وَلَزُرْتُ قَبْرَكِ والْحَبِيبُ يُزَارُ[6]

ويقال: رجل حَيِيٌّ، ذو حياءٍ، ومعناه: تمكنه من تلك الصِّفة الكريمة، والمرأة: إمرأة حَيِيَّة[7].

والحياءُ: انقباض النَّفس عن القبائح، وبذلك يصبح حييٌّ[8]

2)– اصطلاحاً: الحياءُ: «هو خلقٌ يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التَّقصير في حقِّ ذي الحقِّ»[9].

ويقول "الزَّمخشري": «الحياء تغيُّرٌ وانكسار يعتري الإنسان من تخوُّف ما يُعاب به ويُذَمُّ»[10]. وفي هذا التَّعريف تركيز على بيان أثر الحياء وهو التَّغيُّر الذي يلحق المستحي.

وعرَّفه الشَّيخ "خليل أحمد السَّهارنفوري": «انكسار يعتري النَّفس، ويكفُّها عن المذموم شرعاً أو عُرفاً»[11].

والملاحظ أنَّ هذا التَّعريف يشتمل على أقسام الحياء من حيث المستحيَا منه، وهم: الحياء من الله، والحياء من النَّاس، والحياء من النَّفس. وهو ما يشتمل على الحياء كباعث

وكنتيجة، كما أنَّه فيه تركيزاً على الانكسار وبيان دوافعه من حبٍّ للكمال ونفور من النَّقص، ويشتمل الكفَّ عن فعل المذموم شرعاً سواءً أكان مُحرَّماً أم مكروهاً والمذكور عرفاً: وهو الذي لا يُناقض أحد مصادر التَّشريع الإسلامي المعروفة[12].

وهذا التَّعريف أقرب إلى تعريفات الصُّوفيَّة كما سنبيّن.

3)– الحياء عند الصُّوفيَّة: المتتبّع للصوفيَّة ومأثرهم سيجد أنَّهم كانوا يُعرِّفون الفضائل بتعاريف تختلف عن بعضها البعض من منطلق حال ومقام كلٌّ واحد منهم، فليس هناك اجماع على مصطلح بعينه، ولذلك نجد بعضهم يُعرِّف الحياء بقوله: «الحياءُ هو انقباض القلب لتعظيم الرَّبِ»[13].

ويُعرِّفه الإمام "الجنيد" بقوله: «رؤية الآلاء ورؤية التَّقصير فيتولد بينهما حالة تُسمَّى الحياءُ»[14].

وقال "ذو النُّون المصري": «الحياءُ هو وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك إلى ربِّك تعالى»[15].

وقال "السَّريُّ السَّقطي": «إنَّ الحياء والأنس يطرقان القلب، فإنْ وجدا فيه الزَّهد والورع حطَّا، وإلَّا رحلا»[16].

وعرَّفة "المحاسبي" بقوله: «الحياء من كلِّ خلق دنيء في دنيا أو دين»[17].

والتَّعريف الذي يراه أهل العلم أصوب في الحياء، هو ما ذكره "ابن حجر العسقلاني" في كتابه "فتح الباري"[18]، و"ابن القيم" في كتابه "مدارج السَّالكين" بقوله: «وحقيقته: خلق يبعث على ترك القبائح ويمنع من التّفريط في حقِّ صاحب الحقِّ»[19]. وهو ما أشار إليه محقِّق "الرِّسالة القشيريَّة" بقوله: «هو ما يمنعك عمّا يضرك، وسببه" ملازمة من يُسْتحيَا منه كأهل العلم والأدب، وثمرته: الأمن من المقت والعذاب وخِفة الحساب؛ وهو

ممدوح ومطلوب»[20]. ولهذا الأمر أشار أحد الحكماء بقوله: «أحيوا الحياء بمجالسة من يُستَحْيَا منه»[21].

والملاحظ أنَّ كلّ التَّعريفات تدور على أنَّ "الحياء": خلق يمنع من ترك المأمور بفعله، أو فعل المأمور بتركه، ويمنع من نكران الفضل لأصحاب الفضل، وأنَّ كلُّ من يتَّصف به ينزع إلى الكمال ويسمو إليه بحاله ومقاله، جسداً – جوارح – وروحاً.

ثانياً– مصادر الصُّوفيَّة في تربية خلق الحياء:

ترتكز مصادر الحياء عند الصُّوفيَّة على ما درسوه وفهموه من القرآن الكريم، وسنة النَّبي الأمين ﷺ وتأمَّلوه في سيرته النَّبويَّة الشَّريفة، وكذلك في سيرة الأنبياء الذين جاؤوا من قبله، وكذا سير السَّلف الصَّلح من التَّابعين و تابع التَّابعين؛ ويؤكد هذا الأمر قول الإمام "الجنيد": «الطُّرق كلُّها مسدودة على الخلق، إلاَّ على من اقتفى أثر الرَّسول ﷺ، واتبع سنَّته، ولزم طريقته، فإنَّ طريق الخيرات كلُّها مفتوحة عليه»[22].

فمن خلال دراستهم المتأنيَّة للإسلام ومصادر تشريعه عرفوا أنَّ الله تعالى قد وصف نفسه بالحياء، وأنَّ القرآن الكريم مليء بالتَّعبيرات التي تقوم على التَّكنية عن الأفعال أو الأقوال التي يستقبح ذكرها بعبارات لا تخدش الحياء، ولذلك فإنَّ مصادر الحياء عندهم ما يلي[23]:

1)– حياء الله عزّ وجلّ: قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا**﴾[24]. وعن رسول الله قال: «**إنَّ اللَّهَ حييٌّ سِتّيرٌ يحبُّ الحياءَ والتَّستُّرَ فإذا اغتسلَ أحدُكم فليستترِ**»[25]، كما ورد أيضاً: «**إنَّ اللَّهَ حيِيٌّ كريمٌ يستحي إذا رفعَ الرَّجلُ إليْهِ يديْهِ أن يردَّهما صفرًا خائبتينِ**»[26].

والملاحظ في هذا الحياء أنَّه حياء تنزيه لا تدركه الأفهام لأنَّه خاصٌ بالله عزَّ وجلّ؛ مصداقاً لقول "ابن القيم": «وأمَّا حياء الرَّب تعالى من عبده فذاك نوع لا تدركه الأفهام،

ولا تُكيِّفه العقول، فإنَّ حياء كرم وبرٍّ وجود وجلال، فإنَّه تبارك وتعالى حييٌّ كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أنْ يردهما صفراً. ويستحي أنْ يُعذِّب ذا شيبة شابت في الإسلام»[27].

2)– منزلة الحياء وفضله في القرآن الكريم: في هذا المجال سنقدِّم نموذجاً واحداً، أمَّا باقي الآيات سنشير لها. ونموذجنا هو قوله تعالى: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾[28].

في هذه الآية الكريمة يُعبِّرُ القرآن الكريم بلفظ "الرَّفث" كناية عن "الجماع"، وضمَّنه معنى الافضاء، وهو من الكنايات الحسنة. ففي هذا المقام يُبيح القرآن الكريم للصائمين غشيان النِّساء في ليالي رمضان دون التَّصريح بلفظ آخر يخدش الحياء. وفي قوله: ﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ**﴾، يقول "ابن عبَّاس" في تفسيرها: «هن سكن لكم وأنتم سكن لهن»[29].

كذلك قوله: ﴿**فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ**﴾ تجد أنَّ القرآن الكريم يطلق على الجماع "المباشرة" لملاصقة بشرة كلٌّ واحد منهما زوجه، ويُكرِّرُ نفس التَّعبير في قوله عزَّ وجلّ: ﴿**وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ**﴾ أيْ لا تقربوهن ليلاً أو نهاراً ما دمتم معتكفين في المساجد[30].

وهذا ما أشار إليه "عبد الله بن عبَّاس" في قوله: «أنَّ الله حييٌّ كريم يُكَنِّي كلما ذكر في القرآن الكريم من المباشرة والملامسة والإفضاء والدُّخول والرَّفث، فإنَّما عنى به الجماع»[31].

وفي مجال الحياء القرآني ومعالجته للمواضيع التي تخصُّ حياة المسلم دون تخدش الحياء، آيات كثيرة لا حصر لها، منها: قوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىَ شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[32].

كذلك قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىَ تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً**﴾[33].

ففي هذين الآيتين عبارات كثيرة ترفع من منسوب الحياء، منها: ﴿**فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ**﴾، والمقصود "المباشرة". ثمَّ قوله: ﴿**نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىَ شِئْتُمْ**﴾، فعبَّر عن المرأة على أنَّها الأرض الخصبة للزرع وهو الانجاب والخلفة، ووجوب إتيانها من حيث أمرَ الله، أي من موضع النَّسل والذُّريَّة ولا تتعدوه إلى غيره، وفي هذا يقول "بن عبَّاس": «اسق نباتك من حيث ينبت»[34].

وفي الآية الثَّانية، قوله: ﴿**أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ**﴾، استخدم القرآن الكريم الكناية حتى لا يخدش الحياء وهي: "الغائط"، وهو المكان المنخفض الذي يستر العورة عن أعين النَّاس. أمَّا استخدامه لعبارة ﴿**أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء**﴾، فقد قصد بها "الجماع"، وحياء كنَّاه بالملامسة، لأنَّه مما يستهجن التَّصريح به أو يستحيا من ذكره صراحة[35].

وبناء على هذا، فالقرآن الكريم ومراتعه الإدراكيَّة ‘شراقاً وذوقاً هي أساس بناء فكر شيوخ الصُّوفيَّة ومداركهم وأخلاقهم وفهومهم، التي من خلالها تعاملوا بها مع غيرهم من النَّاس – محسنهم ومسيئهم – بخلق الحياء[36].

3)– استشهادات الصُّوفيَّة عن الحياء بمورود السُّنة النَّبوية الصَّحيحة: ورد في السَّنة النَّبويَّة أحاديث كثيرة تُبيِّنُ منزلة الحياء في الإسلام، وتوضِّح أنَّه سنة من سنن النُّبوَّة الأولى، والسُّنة كما هو معلوم هي المصدر الثَّاني من مصادر التَّشريع الإسلامي، ولهذا رجع كبار الصُّوفيَّة للنهل منها وجعلها أحد أسانيدهم بعد القرآن الكريم، وها هو أحد أعمدة التَّصوف "أبو عبد الله الحارث المحاسبي" في كتابه (الرِّعاية لحقوق الله) يذكر أنَّ "عمران بن حصين" يروي عن النَّبيِّ ﷺ قوله: «**الحياءُ شُعبَةٌ مِنَ الإيمانِ**»[37]، كما يذكر "المحاسبي" أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إنّ الله يحبُّ الحَيِيَ الحليم**»[38]، كما استشهد في الباب الذي أفرده للحياء، والذي عنون له بـ: (باب ما يستحب فيه الحياء وما يكره فيه)[39] بقول النَّبيِّ ﷺ: «**الحياء خيرٌ كُلَّهُ وَشُعبَةٌ من الإيمانِ**»[40].

4)– نماذج من حياء النَّبيﷺ كمبعث للتربية الصُّوفيَّة: استمدَّ الصُّوفيَّة مقام الحياء من حياء النَّبيِّ ﷺ.

فقد كان أعظم النَّاس حياء، لأنَّه أعظمهم إيماناً؛ عن "أبي سعيد الخدري"رضي الله عنه قال: «**كان رسول اللهﷺ أشدُّ حياءً منَ العذْراءِ فِي خِدْرِهَا**[41]»[42]. وقد بلغ حيائه ﷺ أنَّه لم يواجه أحداً بما يكره، بل يعرض بذلك أو يأمر بعض الصَّحابة من يُصارح الرَّجل المقصر بذلك. وفي هذا تروي السَّيدة "عائشة" – رضي الله عنها – قائلة: «**كانَ رسولُ اللهﷺ إذَا بَلغَهُ عن الرَّجلِ الشَيءُ لَمْ يَقُلْ: مَا بَالُ فُلاَن يقول؟ وَلَكِن يَقولُ: مَا بَالُ أَقْوامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا**»[43].

ومن حيائهﷺ أنَّه كان لا يثبّتُ بصره في وجه أحد[44]. وتحكي السَّيدة "عائشة" – رضي الله عنها – قائلة: «**أنَّهُ لَمْ يَكُن فَاحشاً ولاَ مُتفَحِشاً ولا صَخَّاباً في الأسواق ولاَ يجزِي السَّيئةَ بالسَّيئة ولكن يَعْفُو ويَصْفَحُ**»[45].

ومن حيائهﷺ أنَّه كان لا يقطع كلام مُحدِّثه، وإنَّما يتركه حتى ينتهي مما يريد، وكذلك «من أمسك بيده لا ينزعها منه حتى يكون هو الذي ينزعها»[46]، وكان ﷺ يُخفِّفُ صلاته إذا أقبل إليه، أو سمع بكاء طفل من الأطفال[47]، وكان ﷺ لا يمدُّ رجليه بين أصحابه[48]، وكان ﷺ إذا أتى باباً يريد أن يستأذن لم يستقبله جاء يميناً أو شمالاً فإنْ أذن له وإلاَّ انصرف[49]. وقد كان حياءه هذا داخل بيته وخارجه، فظاهره كباطنه، وسرُّه كعلنه[50].

وكان النَّبيُّ ﷺ يستحي أنْ يحلف في سؤاله، بدليل قوله لسيدنا "موسى" عليه السلام في المعراج بعد أنْ خُفِّفَت الصَّلاة إلى خمس صلوات من خمسين ونصحه سيدنا "موسى" عليه السلام بسؤال ربِّه ما هو أقلّ من الخمس، فردَّ الرَّسول ﷺ بقوله: «**قَدْ استحيَيْتُ مِنْ ربِّي**»[51]. وهو لون من ألوان الحياء يشعر به ذو القلب الحي من كثرة إكرام من يكرمه؛ ولعل هذا ما دفع الصُّوفيَّة إلى تفويض أمورهم كلَّها لله عزَّ وجلّ وعدم إلحاح البعض منهم في السُّؤال وعدم الشَّكوى لغير الله حذراً من أنَّهم بتصرُّفهم هذا يكونون قد أسلموا أنفسهم لشكوى الله عزَّ وجل إلى البشر[52].

5)– الحياء شريعة جميع الأنبياء: بيَّن النَّبيُّ ﷺ أنَّ الحياء لم يزل مُستحسناً في شرائع الأنبياء الأولين وأنَّه لم يرفع، ولم ينسخ في جملة ما نَسخَ الله من شرائعهم، بل تداوله النَّاس بينهم، وتوارثوه عنهم، وتواصلوا به قرناً بعد قرنٍ[53]. فعن "أبي مسعود البدري" رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أنَّ مما أدرك النَّاس من كلام النُّبوَّة الأولى: "إذا لم تستحي فاصنع ما شئت**»[54]. ومن مصادر الصُّوفيَّة أيضاً أنَّ الحياء خلق الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام.

فعن "أبي هريرة"ﷺ قال: «**قال رسول اللهﷺ: أنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلاً حَيِيّاً سِتِّيراً لا يُرى شَيء مِنْ جِلْدِه استحياءً منهُ**»[55].

وفي الحديث الشَّريف يقول رسول الله ﷺ: «**خَمْسٌ مِنْ سُنَنِ المُرْسَلِين: الحَيَاءُ، والحِلْمُ، والحِجَامَةُ، والسِّواكُ، والتَّعطُّر**»[56].

6)– نماذج من حياء الخلفاء الرَّاشدينﷺ: من أوائل الصَّحابة الأجلاء الذين اتصفوا بالحياء الذي يدفع إلى كلِّ الخصال الحميدة ويحفظ الإنسان من الرَّذائل، ويحجزه عن السُّقوط إلى رذائل الأخلاق، ويمتِّعه بأقوى البواعث على فعل الفضائل، نجد التَّالي:

6 – 1 – حياء أبي بكر الصِّديق ﷺ: الذي قال وهو يخطب في جموع المسلمين: «**أيُّها النَّاس استحيوا من الله، فوالله ما خرجت لحاجة منذ بايعتُ رسول الله ﷺ أريد الغائط إلاَّ وأنا مُقَنَّعٌ رأسي حياء من الله**»[57].

6 – 2 – حياء عمر ﷺ: يقول "عمر" في الحياء: «**من قلَّ حياؤه قلَّ ورعه، ومن قلَّ ورعه مات قلبه**»[58]، ويقول: «**من استحيا استخفى، ومن استخفى اتقى، ومن اتقى وُقِيَ**[59]**، فالرَّجل الذي يتقي الله، يجعل بينه وبين عذاب الله وقاية ويقيه الله من الفضيحة في الحياة الدُّنيا ومن العذاب في الآخرة**»[60].

6 – 3 – حياء عثمان ﷺ: وهو من الصَّحابة المخصوصين بهذه المزيَّة، حيث قال في حقِّه رسول اللهﷺ: «**ألاَ اَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الملائِكَةُ**»[61]. وقال ﷺ: «**الحياءُ مَنَ الإيمَانِ وأحيَ أمَّتِي عُثْمَان**»[62]. وفي رواية أخرى: «**عُثْمَان أحْيَ أُمَّتِي وَأَكْرَمُهَا**»[63]. وفي كلِّ هذا كان من الصِّنف الذي هو قانت أناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الأخرة، ويرجو رحمة ربِّه، غالب أحواله الكرم والحياء والحذر والرَّجاء، حضه من النَّهار الجود والصِّيام، ومن الليل السُّجود والقيام[64].

6 – 4 – حياء الإمام علي ﷺ: من أعظم الصَّحابة حلماً، وأوفرهم علماً، قدوة المتَّقين، يقول في احدى وصاياه مُبيّناً قيمة فضل الحياء المحمود مُشدِّداً على ذمِّ الحياء الذي يُسلم إلى ارتكاب الرَّذائل: «**احفظوا عني خمساً فلو ركبتم الأبل في طلبهن لأنضيتموهن**[65] **قبل أنْ تدركوهن، لا يرجو عبد إلاَّ ربَّه، ولا يخفن إلاَّ ذنبه، ولا يستحي جاهل أنْ يسأل عما لا يعلم، ولا يستحي عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم، والصَّبر من الإيمان بمنزلة الرَّأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له**»[66].

هذه أسس بناء خلق الحياء عند الصُّوفيَّة، وهذه هي مدرستهم التي نهلوا منها.

ثالثاً– أقوال كبار الصُّوفيَّة في الحياء:

لقد اهتمَّ شيوخ وعلماء الصُّوفيَّة بالبحث الأخلاقي، وبنوا صرحاً عظيماً في علم الأخلاق، وكان مستندهم في ذلك الوحي الإلهي، وسيرة النَّبِيَّ ﷺ والصَّحابة والتَّابعين ومن تبعهم من أهل العلم والصَّلاح، غير أن هذا الاهتمام كان في سبل شتى، ومستويات مختلفة، وذلك لاختلاف المناهج والمقاصد، والوسائل والغايات، التي تهتم بمنظومة القيم الأخلاقيَّة، والتي من بينها خلق الحياء قرين الإيمان كما ورد في الأحاديث النَّبويَّة الشَّريفة التي أوردناها أعلاه.

وحتى نميط اللثام على منظور الصُّوفيَّة لخلق الحياء، سنقدِّم بعض النُّصوص التي تتضمن أقوالهم في هذا الخلق محاولين الكشف عن بعض النِّقاط الهامة في منطوقها ومفهومها، قصد بناء رؤية متكاملة حول هذا الخلق المميز في المنظومة الأخلاقيَّة الإسلاميَّة عند الصُّوفيَّة الحقَّة، المتحقِّقة عملاً وسلوكاً[67].

1)– قول ابن مسكويه (ت.421هـ/1030م): يقول: «... ثمَّ يحدث له الشَّوق إلى تمييز الأفعال **الإنسانيَّة** خاصة، أوَّلاً أوَّلاً، حتى يصير إلى كماله في هذا التَّمييز،

فيسمى حينئذ **عاقلاً**. وهذه القوى كثيرة، وبعضها ضروري في وجود الأخرى إلى أن ينتهي إلى الغاية الأخيرة، وهي التي لا تراد لغاية أخرى، وهو الخير المطلق الذي يتشوَّقه الإنسان من حيث هو إنسان، فأوَّل ما يحدث فيه من هذه القوَّة: **الحياء**، وهو: الخوف من ظهور شيء؛ ولذلك قلنا إنَّ أوَّل ما ينبغي أن يُتفرس في الصَّبي ويستدل به على **عقله**؛ فإنَّه يدلُّ على أنَّه قد أحسَّ بالقبيح، ومع احساسه به فهو يحذره ويتجنَّبه أنْ يظهر منه أو فيه... فإنْ نظرت إلى الصَّبي فوجدته **مستحياً** مُطرقاً بطرفه إلى الأرض فهو أوَّل دليل نجابته، والشَّاهد لك أنَّ نفسه أحسَّت بالجميل والقبيح، وأن **حياءه** هو: "انحصار نفسه خوفاً من قبيح يظهر منه، وهذا ليس بشيء أكثر من ايثار الجميل والهرب من القبيح، بالتَّمييز **والعقل**"»[68].

في هذا القول "لابن مسكويه" تعريف واحد للحياء، عبَّر عنه بطريقتين:

الأوَّلى قوله: الحياء "انحصار النَّفس خوف اتيان القبائح، والحذر من الذَّمِّ، والسَّبِّ الصَّادق"[69].

والثَّانية قوله: الحياء "الخوف من ظهور شيء"[70].

والمتأمل في هذين التَّعبيرين لا يلحظ كثير اختلاف بينهما، ويؤدِّيان معنى واحداً لخلق الحياء، وهو الذُّل والانكسار، أيْ: الخوف من القبيح والحذر منه، فيكون الحياء بذلك رادعاً نفسيًّا، وحائلا خُلقيًّا، يحول دون الوقوع في القبائح.

2)- قول الرَّاغب الأصفهاني (ت.502هـ/1108م): يقول: «**الحياء**: انقباض النَّفس عن القبائح، وهو من خصائص الإنسان، وأوَّل ما يظهر من قوة الفهم في الصِّبيان، وجعله الله تعالى في الإنسان ليرتدع به عما تنزع إليه الشهَّوة من القبائح، فلا يكون كالبهيمة... وهو مركب من جبنٍ وعفَّة، ولذلك لا يكون **المستحي** فاسقاً، ولا الفاسق **مستحياً**؛ لتنافي اجتماع العفَّة والفسق، وقلَّ ما يكون الشُّجاع **مستحيا**،

و**المستحي** شجاعا(!)؛ لتنافي اجتماع الجبن والشَّجاعة، ولعزَّة وجود ذلك تُجمع الشُّعراء بين المدح بالشَّجاعة، والمدح بالحياء»[71].

الملاحظ أنَّ قول "الرَّاغب الأصفهاني" قريب من قول "ابن مكسويه"؛ حيث قال: "**الحياء**: انقباض النَّفس عن القبائح، وهو من خصائص الإنسان..."؛ غير أنَّه يلاحظ زيادة جملة أخرى تضيف معنى مهمًّا لتعريف "ابن مكسويه"، وهو كون **الحياء** خاصِّيَّة انسانيَّة، "وهو من خصائص الإنسان"، وهي اشارة هامة من "الأصفهاني"، سنجد صنوها، ومثيلاتها، في أقوال أخرى.

3)– قول أبي حامد الغزالي (ت.505هـ/1111م): يقول: «اعلم أنَّ الطَّريق في رياضة الصِّبيان من أهم الأمور وأوكدها، والصَّبيُّ أمانة عند والديه... ومهما رأى فيه مخايل التَّمييز فينبغي أنْ يحسن مراقبته، وأوَّل ذلك ظهور أوائل **الحياء**؛ فإنَّه إذا كان يحتشم و**يستحي** ويترك بعض الأفعال فليس ذلك إلَّا لإشراق نور **العقل** عليه، حتى يرى بعض الأشياء **قبيحا**، ومخالفا للبعض، فصار **يستحي** من شيء دون شيء، وهذه هديَّة من الله تعالى إليه وبشارة تدلُّ على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب... وهو مُبشَّر بكمال العقل عند البلوغ، فالصَّبيُّ **المستحي** لا ينبغي أن يُهمل، بل يستعان على تأديبه **بحيائه**، أو تمييزه»[72].

ثمَّ يقول: «اعلم أنَّ هذه الشَّهوة هي أغلب الشَّهوات على الإنسان، وأعصاها عند الهيجان على **العقل**، إلَّا أنَّ مقتضاها قبيح **يُستحيا** منه، ويُخشى من اقتحامه، وامتناع النَّاس عن مقتضاها إما لعجز، أو لخوف، أو **لحياء**، أو لمحافظة على جسمه»[73].

4)– قول ابن قيِّم الجوزيَّة (ت.751هـ/1350م): يقول: «وكلُّ ما تصرَّف من الحياة، فهو خيرٌ كلَّه؛ **كالحياء** الذي سببه كمال حياة القلب، وتصوُّرُه حقيقة القبيح،

ونفرته منه، وضدُّه الوقاحة والفُحش، وسببه موت القلب، وعدم نفرته من القبيح. وكالحيَا الذي هو المطر الذي به حياةُ كلَّ شيء»[74].

ثمَّ يقول: «تأمَّل هذا الخلق الذي **خصَّ به الإنسان دون جميع الحيوان،** وهو خلق **الحياء،** الذي هو من أفضل الأخلاق وأجلِّها، وأعظمها قدراً، وأكثرها نفعاً، بل هو **خاصَّةُ الإنسانيَّة،** فمن لا **حياء** فيه ليس معه من **الإنسانيَّة** إلَّا اللحم والدَّم وصورتهما الظَّاهرة، كما أنه ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخلق لم يُقْرَ الضَّيف، ولم يُوف بالوعد، ولم تُؤدَّ أمانة، ولم تُقْضَ لأحدٍ حاجة، ولا تحرَّى الرَّجلُ الجميل فآثره والقبيح فتنكَّبه»[75].

انطلق "ابن قيِّم الجوزيَّة في تعريفه **للحياء** من المعنى اللُّغوي الذي يشتقُّ منه **الحياء،** وهو "الحياة" فيقول: "**والحياء**" من **الحياة،** وهو "**الحيَا**" للمطر، لكن هو مقصور. وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوَّة **الحياء،** وقلَّة **الحياء** من موت القلب والرُّوح، فكلَّما كان القلب **أحيى** كان **الحياء** أتمُّ[76].

فتنبيهه على مصدر **الحياء** أيْ (الحياة) تذكير بالقيمة الكبرى لهذا الخلق الذي خُصَّ به الإنسان، وربط له بحياة القلب التي بها يحيى الإنسان حقاً، أو بمعنى آخر إنَّ صاحب "المدارج" يُقيم تلازماً بين **الحياء** و**حياة** القلب والرُّوح، فإذا وُجد **الحياء** فثمتَ روحٌ حيَّة، وإذا فقد تذبل الروح وتموت! كما يشير في تعريفه أيضاً إلى المعنى الذي سبق إليه "الأصفهاني" وهو كون الحياء خاصِّيَّة إنسانيَّة.

5)- قول أحمد التِّجاني الجزائري (ت.1230هـ/1815م): يقول: «... وَذِكْرُ خاصة الخاصة **الحياء** من علم الله بها - أي المعصية -، **والحياء** من نقص الأدب مع الله تعالى، فيذكر هذه الحالة فيستغفر من ذنوبه... **استحيوا** من سوء الأدب ومن وقوع السَّيئات منهم، لعلمهم أنَّها تسوء الحقَّ سبحانه وتعالى»[77].

يلاحظ من قول الشَّيخ "أحمد التِّجاني" أنَّه يضعه في خاصة المقاميَّة – فالحياء عنده مقام –، التي يجب أنْ تدرك بالاستشعار بالله تعالى من خلال معيَّته المحسوسة وغير المدركة[78].

فهذه الأقوال لبعض كبار الصُّوفيَّة حول خلق **الحياء**، أردنا من خلالها جمع بعض المعاني التي تُبيِّن هذا الخلق؛ ويلاحظ أنَّها كلها تشترك في التَّنبيه على ربط **الحياء** بالدَّافع النفسي، أو بمعنى آخر مجمعة على اعتبار **الحياء** قوَّة نفسيَّة تنبعث للذات عند التَّمييز بين القبيح والحسن، والجميل والسَّيئ، من خلال اعمال **العقل**، وليس ذلك هو **الحياء** كلَّه، فكما يكون **الحياء** رادعا نفسيا عن الوقوع في الشَّرِّ، يكون جالبا للخير، كما جاء ذلك في الحديث الصَّحيح، في قولهﷺ: «**الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ**»[79].

رابعاً– تربية خلق الحياء عند الصُّوفيَّة:

حتى نقارب عمليَّة التَّربية لخلق الحياء عند الصُّوفيَّة يجب التَّأمل في أقوالهم وتعريفاتهم السَّابقة، كي نتعرف على أسس تربيتهم لخلق **الحياء**.

بالرُّجوع إلى نصِّ "ابن مكسويه" عن خلق **الحياء**، يلاحظ وجود سياق خاص والمتمثل في مسألة تأديب الصِّبيان، عن خلق **الحياء**، بحيث إنَّ الصَّبي يتدرَّج في مراتب التَّعقل إلى درجة الكمال في التَّمييز، وحينها يتميَّز بالحياء، باعتباره خلقاً يدلُّ على تمييزه، وكمال **عقله**.

وهذا السِّياق مدعى لتأمل بعض ما يضمره من مسائل مُهمَّة، ومنها: لماذا قرن بين خلق **الحياء** وتأديب الصِّبيان؟ في الحقيقة الحياء لا يرتبط أو يخصُّ مرحلة مُعيَّنة من مراحل حياة الإنسان، فليس الصَّبيُّ أولى به، ولاَ الكبير، غير أنَّ "ابن مكسويه" يربط بين **الحياء** والصَّبيُّ وذلك لغاية **التَّأديب والتَّهذيب**، بحيث إنَّ **الحياء** في نظره **سبيل وآلة** لهذا التَّأديب. وعلاقة بسياق النَّص يلحظ ادراج "ابن مكسويه" خلق **الحياء** تحت فضيلة

العفَّة[80]؛ ومعلوم أنَّ **العفَّة** يدرجها الفلاسفة تحت القوة الثَّانية من قوى النَّفس الثَّلاث، وهي: "القوَّة الشَّهويَّة" والتي تضبطها القوَّة الأوَّلى، وهي: "القوَّة العاقلة"، يقول: «ومتى كانت حركة النَّفس البهيميَّة (الشَّهويَّة) معتدلة مُنقادة للنفس العاقلة... حدثت عنها فضيلة **العفَّة**»[81].

هذا النَّص يُحيلنا لمسألة هامة في فلسفة الأخلاق، وهي علاقة الأخلاق عامة **بالعقل،** وخلق **الحياء** تحديداً، وذلك في علاقتهما – الخلق والعقل – بالإنسان، ولو أنَّ "ابن مكسويه" لم يفصح عن هذه العلاقة، وطبيعتها، إلَّا أنَّه يُلمِّحُ إلى أولويَّة **العقل** على **الخلق،** وتبعية الثَّاني للأوَّل، وأنَّ الإنسان يَكمَلُ **بعقله،** والأخلاق دليل عقلانيَّته، وهذا ليس جديداً في الفكر الفلسفي الإسلامي، وإنَّما له جذور في الفلسفة اليونانيَّة[82].

غير أنَّ المقام يتطلَّب بيان مقصود "ابن مكسويه" من العقل، هل هو **العقل المجرَّد** عن الأصل الدِّيني أمْ **العقل المتَّصل بالدِّين؟** ولا سبيل لتفصيل القول في هذه الإشكاليَّة المعروفة في الفكر المعاصر، غير أنَّنا قصدنا التَّنبيه إليها في هذا السِّياق، والذي نودُّ بيانه هو صلة **الحياء بالعقل،** فـ"ابن مكسويه" يعتبر **الحياء** عند الصَّبيِّ هو دليلُ عقله وتمييزه، وهذا تصريح واضح بتبعية **الحياء للعقل** لا العكس، فلنتأمل قوله: «... ولذلك قلنا إنَّ أوَّل ما ينبغي أن يُتفرس في الصَّبي ويستدلُّ به **– أيْ الحياء–** على **عقله**»[83]. ففي هذا المقام هو يُنبِّه إلى كون **العقل** درجة أعلى، بل وخاصة الإنسان، وعند بلوغها تظهر في الصَّبيِّ معالم التَّعقُّلِ، ومنها **الحياء.**

ويزيد المسألة بياناً تصنيفه **للحياء** ضمن الفضائل التي تندرج تحت فضيلة **العفَّة،** وقد بيَّنا سابقاً أنَّ **العفَّة** من قوة النَّفس الشَّهويَّة، المنضبطة بالقوَّة العاقلة، ومن ثمَّ كان **الحياء** تابعا **للعقل،** بموجب هذا التَّرتيب السَّابق الذِّكر.

أمَّا سياق نصّ "أبي حامد الغزالي" في حديثه عن **الحياء**، فهو لا يختلف عن سياق "ابن مكسويه"، وهو حديثهما عن "تأديب الصِّبيان"، وقد نبّه "الغزالي" في نصِّهِ إلى ضرورة الاستعانة **بالحياء** في تأديب الصَّبيّ وتربيته على الفضيلة، مشيرا بذلك –كابن مكسويه قبله– إلى كون **الحياء** علامة تمييز الصَّبيّ و**تعقُّله**.

وفي مسألة العلاقة بين **العقل** و**الحياء**، فالإمام "لغزالي" كـ"ابن مكسويه" يُصرِّح بكون **الحياء** علامة على **العقل** والتَّمييز، وفي هذا يقول: «... فإنَّه إذا كان – أي الصَّبيُّ– يحتشم ويستحي ويترك بعض الأفعال فليس ذلك **إلَّا لإشراق نور العقل عليه**»، وهذا التَّأملُ يقودنا للتَّساؤل عن **العقل** المقصود عند الغزالي؟ فليس **العقل** على مرتبة واحدة، بل يتعدَّد ويتنوَّع، وهذا السُّؤال في الحقيقة تنبَّه إليه بعض المفكرين المعاصرين، ومنهم: "طه عبد الرَّحمن"، في كتابه "**دين الحياء**"، حيث يقول في سياق مناقشته لعلاقة **العقل بالحياء** عن فلاسفة الأخلاق عند المسلمين، وبالضَّبط عند تأمله لنصَّ "الغزالي": «...هاهنا اشكال ينبغي رفعه، فإنْ كان المقصود **بالعقل** هو "**العقل المجرد**" فإن الوصل بين الطَّرفين: لا يصحُّ؛ لأنَّ "**العقل المجرَّد**" لا شأن له بالقيم الأخلاقيَّة... وأمَّا إنْ كان المراد **بالعقل** رتبة مُتقدِّمة في **العقل**، وهي: **العقل** "المسدَّد بالقيم الأخلاقيَّة" فهذا يصحُّ، لكن ليس ذلك لأنَّ نور **العقل** نفذ إلى **الحياء**، بل لأنَّ **الحياء** نفذ إلى **العقل** فأخرجه من تجريده الأصلي[84].

وهذا الإشكال الذي أراد الشَّيخ "طه عبد الرَّحمن" رفعَه، هو اشكال حقيقي، غير أنَّ رفع التباسه رهين بوجود اشارة أو توضيح من "الغزالي" وغيره في بيان المقصود **بالعقل** هنا، وأيضاً غرض "الغزالي" من هذه العبارة "القلقة" – بحسب طه عبد الرَّحمن– فـ"الغزالي" واضح أنَّه يتغيا من قوله التَّدليل على **العقل بالحياء**، وليس العكس، لكن "طه

عبد الرَّحمن" مقصوده عكس ذلك، فليس "**العقل**" هو الذي يشرق على **الحياء**، بل "لأنَّ **الحياء** نفذ إلى **العقل**، فأخرجه من تجريده الأصلي"، بحسب تعبيره.

وفي هذا المقام يصبح طرح الشَّيخ "طه عبد الرَّحمن" يصبُّ فيما ذهب إليه الشَّيخ "أحمد التِّجاني الجزائري"، وهو المقام، إذْ أنَّ "**الحياء**" مقام لا يدرك إلاَّ بحسٍّ ومجاهدة، حتَى يتجسدَ سلوكَ استحياء من الله[85].

أمَّا النَّص الثَّالث فهو "للراغب الأصفهاني" الذي صدَّر الفصل الثَّالث من كتاب "الذَّريعة إلى مكارم الشَّريعة" الخاص بالقوَّة الشَّهويَّة من قوى النّفس، بالحديث عن خلق **الحياء**، وبذلك وضع اطاراً عاماً **للحياء**، لا يختلف كثيراً عن "ابن مكسويه" و"الغزالي"، كما أنَّه ساير "ابن مكسويه" في ربط خلق **الحياء** بتأديب الصِّبيان، وذلك بقوله: «... وهو من خصائص الإنسان، وأوَّل ما يظهر من قوة الفهم في الصِّبيان»[86].

في هذه العبارة ما يلفت الانتباه، حيث كان "الأصفهاني" سبَّاقاً قبل غيره للتنبيه إليها، – كذلك ابن قيم الجوزية، كما سيأتي بيانه – هذه العبارة تشير ضمنياً إلى أنَّ هناك من الأخلاق مالا تختصُّ بالإنسان وحده، بل تشاركه فيها حتّى الحيوانات، وتشير صراحة إلى أنَّ **الحياء** خاصيَّة انسانيَّة محضة، لا يشاركه فيها غيره، فلا يمكن تصوُّر حيوان فيه صفة **الحياء!** بعكس أخلاق أخرى يمكن تصوَّرها في الحيوان مثل: الوفاء، وغيره من الأخلاق... لكن هل يكون الإنسان بلا **حياء؟**

كما ذهب "الأصفهاني" إلى أنَّ **الحياء** مركَّب من **جبنٍ وعفَّة**، وذلك في نظره أنَّ الحياء فيه طرف من **الجُبن** الذي يظهر في **الاستحياء** من شيء ما، ومن **العفَّة** التي يُعبِّر عنها المستحيي في صورٍ مختلفة، ولَإن كان في **الحياء** ما يحيل على **العفَّة**، فإن ذلك في **الجبن** غير واضح[87]، بل قد يقال كيف يكون الحيي جبانا؟ وفي نفس الوقت شجاعا؟، وفي هذا نحيلهم على أخلاق النَّبيِّ ﷺ، إذْ لا تعرض بين الحياء والشَّجاعة[88].

أمَّا "ابن قيِّم الجوزيَّة" في كتابه "مفتاح دار السَّعادة"، فقد أدرج **الحياء** ضمن حديثه عن "وجوه فضل **العلم**" معتبراً أنَّ **الحياء** من خيرات و**فضل حياة العلم**، أيْ العلم بالله تعالى، ذلك أن كل "ما تصرف (من هذه الحياة) فهو خير كلَّه؛ **كالحياء** الذي به كمال حياة القلب[89]، وأمَّا في "المدارج" فيخصُّ **الحياء** بمنزلة خاصة، مُفصِّلاً القول في درجات هذه المنزلة العظيمة من "منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين". ويبدو أنَّ هذا السِّياق العام يختلف عن سياق من سبق من العلماء، وربطه بين **العلم** و**الحياء** أيضاً تنبيهٌ مهمٌّ لم يشر إليه من سبقه.

كما نجد أنَّ "ابن قيِّم الجوزيَّة" قد ذهب إلى ما سبقه إليه "الأصفهاني"، وهي **اختصاص الإنسان بالحياء**، وذكرنا أنَّ "الأصفهاني" اكتفى بالتَّنبيه والإشارة دون بيان وتفصيل، أمَّا "ابن قيِّم الجوزيَّة" فقد وقف متأمِّلاً هذه المسألة، آتياً بقولٍ بديع فيها، ابتدآه بالتَّنصيص على **اختصاص الإنسان بالحياء**، ثمَّ أردفه ببيان لهذه الخصوصية، التي تنتهي عند اعتبار **الحياء** قرين الإنسانيَّة، ولا يمكن الفصل بينهما، وبعبارته: «فمن **لا حياء** له ليس معه من **الإنسانيَّة** إلَّا اللحم والدَّم وصورتهما الظَّاهرة كما أنَّه ليس معه من الخير شيء»[90]. وهذا النَّظر العميق الذي يخصُّ به "ابن قيِّم الجوزيَّة" **الحياء** مدعى لأسئلة كثيرة، ومنها: إذا كان **الحياء خاصيَّة إنسانيَّة**، وبِفقدِها تُفقدُ **الإنسانيَّة**، أليس هذا تأكيد على قلب التَّصوُّر المعروف في الفلسفة الإسلاميَّة وغيرها القاضي بأسبقية **العقل** على **الأخلاق**، وأنَّ الذي يكون به الإنسان إنساناً هو **العقل** لا **الخلق**؟ فيكون أسبق لهذا الطَّرح من "طه عبد الرَّحمن" الذي يُعدُّ من السَّابقين لهذا الطَّرح في الفكر المعاصر؟ كما أنَّ "ابن قيِّم الجوزيَّة" بهذا التَّأكيد يتجاوز الطَّرح السَّابق مع "ابن مكسويه" و"الغزالي" وغيرهما، الذي يلاقي بين **الحياء** و**العقل**، إلى طرح يلاقي بين **الحياء** و**الإنسانيَّة**.

هذا. ولم يفت "طه عبد الرَّحمن" تأمَّله لهذه المسألة عند ايراده لهذا النَّص في كتابه "دين الحياء" وإنْ كان يُعتبر كلام "ابن قيِّم الجوزيَّة" هو نتيجة تأثيره بالغزالي[91]، وإن كان الغزالي في الحقيقة لم يؤكد على اختصاص **الإنسان بالحياء**. وعند تأمُّل كلام "ابن قيِّم الجوزيَّة" نقف عند هذه المسألة الهامة أيضاً، وهي اعتباره **الحياء** دليلُ **حياة القلب**، وفقدانه دليل **موته**، حيث يقول: «وعلى حسب **حياة القلب** يكون فيه قوَّة **الحياء**، وقلَّة **الحياء** من **موت القلب والرُّوح**، فكلَّما كان القلب **أحيى** كان **الحياء** أتمُّ»[92]. وبهذا يكون **الحياء** هو القيمة الخلقيَّة التي بها توزن الحقيقة **الإنسانيَّة**، ونتيجة هذا؛ أنَّ الحياة الحقيقيَّة هي **حياة القلب**، وأنَّ الموت هو **موت القلب**، وأنَّ الإنسان بلا **حياء** هو **بلا قلب حيٍّ**، أيْ **ميِّت**، والعكس! ولقد كان "طه عبد الرَّحمن" فطناً عند تنبُّهه إلى هذه المسألة، واستفادته منها في تحليله الفلسفي المتميز **لخلق الحياء**[93].

مما تقدَّم في النُّصوص المستدلُّ بها، نلاحظ أنَّ الصُّوفيَّة قد اهتموا بتربية خلق **الحياء** بدأً من الصِّبى، وأنَّ هذه التَّربية تمرُّ بإحياءِ القلب أوَّلاً وجعله محلَّ الإشراقات الإلهيَّة من خلال القيام بالطَّاعات، على قاعدة "التزام الأمر واجتناب النَّهي ظاهراً وباطناً"[94]، وكلَّ هذا لا يتأتى إلاَّ من خلال الاستشعار[95] والحسّ أثناء أدائهم للطاعات والعبادات، والتي يُعبر عنها الصُّوفيَّة بالحضور، في مقامي المراقبة[96] والمشاهدة[97]، وهي عبادة الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك[98]؛ هذه التَّربية لخلق الحياء يُنمِّيها التِّكرار على قاعدة ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[99]؛ ولهذا نجد أنَّ الشَّعب الجزائري الذي في أغلبه الأعم صوفي يهتمُّ بهذه الفضيلة الإيمانيَّة التي هي **الحياء**، ويحاول التَّركيز عليها في تربيته لأبنائه من خلال عبارات: "استحي"، "احشم"، "عيب عليك"، "مَصحْ وجهك!"، "وجهْ صحيحْ!"، وهي كلُّها عبارات نهي عن الخلق الذَّميم والفاسد في قالب تعجب، كي ترفع من منسوب **الحياء** لدى الفرد[100].

بهذا الجهد نلاحظ أنَّ الصُّوفيَّة قد وضعوا خلق **الحياء** في بوتقة **العقل**، الذي يشرق في وجود **الحياء**، وأنَّه لا **حياء** إلاَّ **بقلب حي** مستنير بنور الله من خلال الطَّاعات التي أصَّل لها الدِّين، والذي بوجودهم جميعا تكتمل **إنسانيَّة** الفرد، ويصبح أهلاً للقيام بالواجبات التي خلق من أجلها. فما هدف الصُّوفيَّة من هذه التَّربية؟

خامساً– هدف الصُّوفيَّة من تربية خلق الحياء:

اهتمَّ الصَّوفيَّة بتربية خلق **الحياء** عند الفرد لأنَّه الخلق الذي يُحقِّقُ الإنسان الكامل[101]، وتبرز من خلاله حقيقته الإنسانيَّة دونا عن كلِّ المخلوقات، هذا الإنسان الكامل هو الذي يتمُّ به عمار الأرض[102] وكذا يُحقَّقُ به الاستخلاف[103]، على قاعدة أنَّ الإنسان الكامل هو الإنسان الذي ينسجم مع كلِّ مخلوقات الله ويعطيها حقوقها، باعتبارها نِعمٌ عنده، تستوجب الشُّكر لمن انعم بها علينا– الله –، ولهذا تجده قائما بواجباته اتجاه كلَّ أمر حياتيٍّ من خلال قيامه بواجباته، لماذا؟

لأنَّه في كلِّ أفعاله يرقب الله، أيْ أنَّ كلَّ أفعاله تكون بمعيَّة الحقِّ سبحانه وتعالى[104].

بناء على هذا المقوِّم اهتمَّ الصُّوفيَّة باستشعار الحقِّ تبارك وتعالى في العبادات، كالصَّلاة، فيطلبون من المريد المتلقي لتربيتهم قراءة آيات القرآن الكريم بحضور قلب وخشوع وتدبُّرٍ وذكر جنان لا ذكر لسان.

أمَّا في السُّلوكات والأفعال مع مخلوقات الله قاطبة، فهم يُربُّون المريد على أنَّ المخلوقات آيات الله التي يجب أنْ تُعظَّم، فبتعظيمها يُعظَّم الله، ولهذا فإنَّ كلَّ العبادات والسُّلوكات والطَّاعات مقرونة عندهم باستحضار الحقِّ، فالمتربي دائماً مع الله، فبهذا السُّلوك يصحُّ استخلافه لأنَّ يقيم شرعه من خلال تطبيق تعاليمه واجتناب نواهيه، فعلمه بشرع الله يؤدي به إلى معرفة الله، ومعرفة الله تؤدي به إلى **الحياء**[105].

والمريد السَّالك عندهم وفي دائرة تربيتهم، حتى يصل إلى هذه الدِّرجة يجب أنْ يمرَّ بالتَّخلية، ثمَّ التَّحلية، حتى يصل إلى التَّجلية، والتي يجب أنْ تكون بحضور العقل – القلب[106] –؛ فتخلِّيهِ يجب أنْ يكون من المعتقدات السَّقيمة والسُّلوكات الذَّميمة، والتَّحلية تكون بالعبادات الشَّرعيَّة المفروضة والمسنونة والواجبة والمستحبَّة، وكذا الالتزام بالأخلاق المصطفويَّة وباتباع المربِّي **القدوة**[107]، فإنْ سار وفق هذا النَّهج الرَّباني المتكامل دخل حضرة ربِّه وتجلَّى عنه بالقبول، فيصبح من الذين إذا رُؤوا ذُكر الله، وكلما قارب أمراً إلاَّ وكان التَّوفيق حليفه؛ ولهذا اهتم الصُّوفيَّة بخلق **الحياء** استشعاراً وحضوراً ومعيَّة، لأنَّهم بممارسته يستحون من الله، وبهذا فهم يعبدونه.

سادساً– خاتمة واستنتاجات:

بعد هذه الفسحة العلميَّة في اتباع مفهوم الحياء وطرق إيقاظه في الإنسان، وتنميته وترسيخه كسلوك يضبط أعمال الصُّوفي الحقُّ، توصلنا إلى النَّتائج التَّالية:

✓ – أنَّ **الحياء** عند الصُّوفيَّة من (**الحياة**)، فالحيِيُ عندهم حيٌّ يشعر بعظمة النِّعم المحيطة به، التي أنعمَ بها عليه المنعم – الله –، وأوَّل هذه النِّعم أنَّه عبد الله وصفيِّهُ، الذي اختاره دوناً عن كلِّ الخلق لحمل أمانته، ألاَ وهي **الاستخلاف** و**العَمَار**.

✓ – أنَّ الحياء سلوكٌ ربَّاني امتاز به الحقُّ في معاملته مع خلقه، إذْ أنَّ الله يستحي من ذو الشَّيبة، ويستحي من الذي يقف ببابه راجياً عطاءه ومغفرته[108] ويرده خائب الرَّجاء، فتجلى به على خلقه وأوَّلهم سيدنا مُحَمَّدﷺ الذي كان أشدُّ مخلوقات الله حياءً، فهو أشدُّ حياء من العذراء في خدرها.

✓ – لقد أورث سيدنا مُحَمَّدﷺ أمَّته وأوَّلهم صحابته هذا الخلق السَّامي، وربَّاهم فيهم ورعاه حقَّ رعايته، باستشعار عظمة الله جلاَّ وعلاَ في كلِّ حركة وسكنة، من خلال الآلاء التي أحاطهم بها، بدأً من الصَّلاة، فعند قراءة آيات الذِّكر الحكيم التي أمرَ الله

بتلاوتها، دعى سيد الوجود ﷺ إلى استشعار الخطاب الإلهي الموجَّه من خلالها، أمراً ونهياً؛ فانعكس ذلك على صحَّة وصفاوة معتقدهم، إذْ سلم من كلِّ شائبة، فأرتقى سلوكهم وأصبح سلوكاً مصطفاوياً، خريجي مدرسة ﴿**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾[109]، سيدنا مُحَمَّدﷺ.

✓ – لقد حُكمت المنظومة الدِّينيَّة الإسلاميَّة بآيات قرآنيَّة وأحاديث نبويَّة شريفة، اتخذها الصُّوفيَّة عزماً لهم وديدن، وساروا عليها في تربيتهم لمريدهم ما أعطى لهم المريد الطَّاعة؛ فما أعطى الطَّاعة وسلَّم القيادة على قاعدة العبوديَّة الحقَّة لله تعالى، والشَّيخ ما هو إلاَّ مُربي **قدوة**، إلاَّ ورتقوا به إلى مصاف الصَّالحين الذين يعوَّل عليهم في **الاستخلاف** و**عَمَارة الأرض**.

✓ – لقد اهتمَّ الصُّوفيَّة بإصلاح القلوب التي هي محلُّ الإشراقات الإلهيَّة والعطاءات الرَّبانيَّة؛ لأنَّه بصلاحها يصلح كلَّ عمل وبخبثها يخبث كلَّ عمل، فكام مُعوَّلهم دائماً اصلاح القلب – للعقل به – من خلال إدراكه لفهم الأوامر الإلهيَّة، بناء على الخطاب الإلهي الذي قال فيه الحقُّ تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ**﴾[110]، فلما سؤال أحد الصَّالحين وهو الشَّيخ "أحمد التِّجاني الجزائري" من المراد بقول الله ﴿**يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ**﴾؟ أهو العقل؟ أم القلب؟ أم جوارح الإنسان؟ فقال: «إنَّما المراد بذلك "**الإدراك**"، فقيل: وما الإدراك يا شيخنا؟ قال: الإدراك، هو نقطة نورانيَّة في أعلى "القلب"، هي التي تتلقى كلُّ الإشراقات الرَّبانيَّة إذا صفى صاحبها، وبها يعقل لأيِّ شيء خُلق، وما الرِّسالة المناط بتحقيقها»[111]. ولهذا دآب الصُّوفيَّة على مخاطبة إدراكات المريدين من خلال الآيات البيِّنات المحكمات – لا المتشابهات –، وتعضيدها بأقوال النَّبيِّ ﷺ وبالمقابلات السُّلوكيَّة لفهم مدلول **الحياء** وانعكاسه على حياة الفرد وكذا الجماعة، وكان نبراسهم في ذلك تقديم **القدوة** والنَّموذج في سلوكهم بالاعتماد على اقتفاء أثر الرَّسولﷺ فكانوا نعم القدوات.

✓ **مما تقدَّم يمكننا القول: أنَّ الحياء يتطلب إدراك الرِّسالة التي خلق من أجلها الإنسان المسلم، وحياة قلب، واتّباع قدوة، لأجل بناء الإنسان الكامل الذي يُحَقِّقُ الاستخلاف وعمارة الأرض المراد له القيام بهما وفق المراد الإلهي.**

الهوامش:

[1] – مُحَمَّد بن يزيد القزويني(ابن ماجه): **سنن ابن ماجه**، كتاب الزُّهد، باب: الحياء، تع وتح: ناصر الدِّين الألباني، **ط.1**، مكتبة المعارف للنشر والتَّوزيع، الرِّياض، 1996م، رقم الحديث:4182، ص.695.

[2] – مُحَمَّد بن أحمد البوزيدي المستغانمي: **الآداب المرضيَّة لسالك طريق الصُّوفيَّة**، تع: عاصم إبراهيم الكيالي،**ط.1**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 2006م.

[3] – علي حرازم بن العربي برادة الفاسي: **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التِّجاني، ج.1، ط.1**، المكتبة العصريَّة، بيروت، 2004م، ص.194.

[4] – مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب (ابن قيِّم الجوزيَّة): **مدارج السَّالكين بين منازل إياك نعبدُ وإياك نستعين**، تح: رضوان جامع رضوان، **ج.2، ط.1**، مؤسَّسة المختار للنّشر والتَّوزيع، القاهرة، 2001م، ص.18 – 19.

[5] – مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط، ط.4**، مكتبة الشُّروق الدُّولية، القاهرة، 2004م، ص.213. **وينظر أيضاً**، مجمع اللغة العربية: **المعجم الوجيز، ط.1**، دار التَّحرير للطبع والنَّشر، القاهرة، 1989م، ص.182.

[6] – جمال الدِّين ابن منظور: **لسان العرب**، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، **مج.2، ج.12 – 13، ط.1**، دار المعارف، القاهرة، 1979م. ص.1079 – 1080.

[7] – المصدر نفسه، ص.1080.

[8] – الحسن بن مُحَمَّد (الرَّاغب الأصفهاني): **المفردات في غريب القرآن**، تح: نزار مصطفى الباز، **ج.1، ط.1**، مكتبة نزار مصطفى الباز، القاهرة، 2009م، ص.184.

[9] – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري**، تح: مُحَمَّد فؤاد عب الباقي و مُحبّ الدِّين الخطيب وقصي مُحبّ الدِّين الخطيب، **ج.1، ط.1**، دار الرَّيان للتراث، القاهرة، 1986م، ص.68.

[10] – محمود بن عُمر الزَّمخشري الخوارزمي: **تفسير الكشَّاف عن حقائق التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل**، تح: خليل مأمون شيحا، **ط.3**، دار المعرفة، بيروت، 2009م، ص.65.

[11] – خليل أحمد السَّهارنفوري: **بذل المجهود في حلّ سنن أبي داود**، تح: تقي الدِّين النَّدوي، كتاب الآداب، باب في الحياء، **ج.13، ط.1**، مركز الشَّيخ أبي الحسن النَّدوي للبحوث والدِّراسات الإسلاميَّة، الهند، 2006م، ص.225.

[12] – إبراهيم محمد سلقيني: **الميسر في أصول الفقه الإسلامي، ط.3**، دار الفكر، دمشق، 1996م، ص149 – 194. **وينظر أيضاً**: مُحَمَّد ربيع الجوهري: **أخلاقنا، ط.1**، دار الطِّباعة المحمَّديَّة، القاهرة، 1985م، ص.179.

[13] – عبد الكريم بن هوزان القشيري: **الرِّسالة القشيريَّة**، تح: معروف مصطفى زريق، **ط.1**، المكتبة العصريَّة، بيروت، 2003م، ص.217.

[14] – المصدر نفسه، ص.218.

[15] – المصدر نفسه، ص.215.

[16] – المصدر نفسه.

[17] – أبو عبد الله حارث المحاسبي: **الرِّعاية لحقوق الله**، تح: عبد الحليم محمود، **ط.3**، دار المعارف، القاهرة، 2003م، ص.218.

[18] – ينظر، التهميش(6) في الصفحة أعلاه.

[19] – ابن قيِّم الجوزيَّة: **مدارج السَّالكين**، المصدر السَّابق، **ج.2**، ص.19.

[20] – عبد الكريم بن هوزان القشيري: **الرِّسالة القشيريَّة**، المصدر السَّابق، الهامش(2)، ص.214.

[21] – المصدر نفسه، ص.215. **وينظر أيضاً**، ابن قيِّم الجوزيَّة: **مدارج السَّالكين**، المصدر السَّابق، **ج.2**، ص.19.

[22] – أحمد بن عبد الله الأصفهاني: **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج.10، ط.3**، دار الفكر للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 1996م، ص.257.

[23] – نشأت عبد الجواد ضيف: «الحياء ومنزلته عند الصُّوفيَّة»، **حوليات الدِّراسات الإسلاميَّة والعربيَّة للبنين، مج.13، ع.1**، جامعة الأزهر، القاهرة، 1995م، ص.353.

[24] – سورة البقرة: الآية.26.

[25] – أحمد بن شعيب بن علي (النَّسائي): **سنن النَّسائي**، كتاب الغسل والتَّيمم، باب: الاستتار عند الاغتسال، تع وتح: ناصر الدِّين الألباني، **ط.1**، مكتبة المعارف للنشر والتَّوزيع، الرِّياض، 1996م، رقم الحديث:406، ص.70.

[26] – مُحَمَّد بن عيسى بن سوْرة (التِّرمذي): **سنن التِّرمذي**، كتاب الدَّعوات، تع وتح: ناصر الدِّين الألباني، **ط.1**، مكتبة المعارف للنشر والتَّوزيع، الرِّياض، 1996م، رقم الحديث:3556، ص.808.

[27] – ابن قيِّم الجوزيَّة: **مدارج السَّالكين**، المصدر السَّابق، **ج.2**، ص.20.

[28] – سورة البقرة: الآية.187.

[29] – مُحَمَّد علي الصَّابوني: **صفوة التَّفاسير، ج.1، ط.4**، دار القرآن الكريم، بيروت، 1981، ص.122.

[30] – المرجع نفسه، ص.123.

[31] – مُحَمَّد الحسين بن مسعود البغوي: **تفسير البغوي. معالم التَّنزيل، ط.1**، دار ابن حزم للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 2002م،ص.95.

[32] – سورة البقرة: الآية.222 – 223.

[33] – سورة النِّساء: الآية.43.

[34] – مُحَمَّد علي الصَّابوني: المرجع السَّابق، **ج.1**،ص.142.

[35] – محمود الألوسي البغدادي: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني**، تص: علي عبد الباري عطيَّة، **ج.3، ط.1**، دار الكتب العلميَّة بيروت، 1994م، ص.41.

[36] – نشأت عبد الجواد ضيف: المرجع السَّابق، ص.359.

[37] – محمَّد بن اسماعيل البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب: أمور الإيمان، تبويب: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، تح: محمود بن الجميل، **ج.1، ط.1**، مكتبة الصَّفا، القاهر، 2002م، رقم الحديث:9، ص.13. **وينظر أيضاً**، مُحَمَّد حبيب الله بن عبد الله بن أحمد الشِّنقيطي: **زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، ج.1، ط.1**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1965م، رقم الحديث: 483 و 484، ص.128.

[38] – محمود بن محمد الحداد أبو عبد الله: **تخريج أحاديث إحياء علوم الدِّين للعراقي وابن السُّبكي والزُّبيدي**، كتاب: ذمّ الجاه والرِّياء، **ج.5، ط.1**، دار العاصمة للنَّشر، الرِّياض، 1987م، رقم الحديث: 3148، ص.1994.

[39] – أبو عبد الله حارث المحاسبي: المصدر السَّابق، ص.217.

[40] – مسلم بن الحجَّاج القشيري النَّيسابوري: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب: بيان شعب الإيمان... وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، تح: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، **ج.1**، **ط.1**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1991م، رقم الحديث:37، ص.64.

[41] – **الخدر**: سترٌ يمدُّ للبنت أو الجارية في ناحية بيتها أو خيمتها. **ينظر**، جمال الدِّين ابن منظور: المصدر السَّابق، **مج.2**، **ج.13**، ص.1109.

[42] – **صحيح مسلم**، المصدر نفسه، كتاب الفضائل، باب: كثرة حيائهﷺ، **ج.4**، رقم الحديث:2320، ص.1809. **وينظر أيضاً**، **صحيح البخاري**، المصدر السَّابق، كتاب المناقب، باب: صفة النَّبيِّﷺ، **ج.2**، رقم الحديث: 3562، ص.186.

[43] – سليمان بن الأشعث السِّجستاني (أبو داوُد): **سنن أبي داود**، كتاب الآداب، باب: حسن العشرة تع وتح: ناصر الدِّين الألباني، **ط.1**، مكتبة المعارف للنشر والتَّوزيع، الرِّياض، 1996م، رقم الحديث:4788، ص.869.

[44] – علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: **جوامع السِّيرة النَّبويَّة**، تص: عبد الكريم سامي الجنيدي، **ط.1**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 2003م، ص.29.

[45] – **سنن التِّرمذي**، المصدر السَّابق، كتاب البرُّ والصِّلة، باب: ما جاء في خلق النَّبيِّ ﷺ، رقم الحديث: 2016، ص.456.

[46] – مُحَمَّد بن يزيد القزويني (ابن ماجه): المصدر السَّابق، كتاب الآداب، باب: إكرام الرَّجل جليسه، رقم الحديث:3716، ص.615.

[47] – **صحيح البخاري**، المصدر السَّابق، كتاب الأذَانِ، باب: من أخفَّ الصَّلاة عند بكاء الصَّبي، **ج.1**، رقم الحديث: 707، ص.161.

[48] – مُحَمَّد بن عيسى (التِّرمذي): **الشَّمائل المحمَّديَّة**، تص: مُحَمَّد عبد العزيز الخالدي، **ط.1**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1996م، ص.57.

[49] – **سنن أبي داود**، المصدر السَّابق، كتاب الآداب، باب: كم مرَّة يسلِّم الرَّجل في الاستئذان، رقم الحديث: 5186، ص.937.

[50] – نشأت عبد الجواد ضيف: المرجع السَّابق، ص.364.

[51] – **صحيح مسلم**، المصدر السَّابق، كتاب الأيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصَّلوات، **ج.1**، رقم الحديث:162 – 163، ص.145.

[52] – القاضي عياض: **الشِّفاء بتعريف حقوق المصطفى**، تح: عبد السَّلام البكّاري المساري، **ج.1**، **ط.1**، دار الفكر للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 2003م، ص.183 – 184. **وينظر**، حسين مُحَمَّد يوسف: **سيد الدُّعاة صلى الله عليه وآله وسلم**، **ط.1**، دار الإنسان، القاهرة، 1979م، ص.190. **وينظر**، مُحَمَّد بن السَّيد علوي: **مُحَمَّد ﷺ الإنسان الكامل**، **ط.1**، المكتبة العصريَّة، بيروت، 2007، ص.120 – 122. **وينظر**، أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي: **إحياء علوم الدِّين**، كتاب آداب المعيشة وأخلاق النُّبوَّة، **ط.1**، دار ابن حزم للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 2005م، ص.841. **وينظر**، أبو نصر سراج الطُّوسي: **اللُّمع**، تح: عبد الحليم محمود و طه عبد الباقي سرور، **ط.1**، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1960م، ص.134 – 140. **وينظر أيضاً**، مُحَمَّد ربيع الجوهري: **أخلاقنا**، المرجع السَّابق، ص.191.

[53] – مُحَمَّد بن أحمد بن إسماعيل المقدَّم: **الحياء خُلق الإسلام**، **ط.1**، دار الحرمين للطباعة، القاهرة، 1993م، ص.22.

[54] – عبد الرَّحمان حسن حبنكة الميداني: **الأخلاق الإسلاميَّة وأسسها**، **ج.2**، **ط.5**، دار القلم، دمشق، 1999م، ص.507.

[55] – **صحيح البخاري**، المصدر السَّابق، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: حديث الخضر مع موسى، **ج.2**، رقم الحديث: 3404، ص.154.

[56] – سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللَّخمي الشَّامي (الطَّبراني): **المعجم الكبير للطبراني**، باب العين(**2**)، تح: حمدي بن عبد المجيد السَّلفي، **ج.11**، **ط.2**، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1994م، رقم الحديث: 11445، ص.186.

[57] – مُحَمَّد بن أحمد بن إسماعيل المقدَّم: المرجع السَّابق، ص.28.

[58] – أبو الفرج بن الجوزي: **صفة الصَّفوة**، تح: محمود فاخوري و مُحَمَّد روَّاس قلعه جي، **ج.1**، **ط.3**، دار المعرفة للطباعة والنَّشر، بيروت، 1985م، ص.287.

[59] – عبد الرّحمان بن شهاب الدّين بن أحمد بن رجب الحنبيلي: **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**، تح: مُحَمَّد الأحمدي أبو النُّور، **ج.2**، **ط.2**، دار السَّلام للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، 2004م، **الحديث العشرون**، ص.597.

[60] – نشأت عبد الجواد ضيف: المرجع السَّابق، ص.371.

[61] – **صحيح مسلم**، المصدر السَّابق، كتاب فضائل الصَّحابة، باب: في فضائل عثمانﷺ، **ج.4**، رقم الحديث:2401، ص.1866. **وينظر أيضاً**، مُحمد بن حبَّان: **صحيح ابن حبَّان**، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصَّحابة، تح: شعيب الأرنؤوط، **ج.15**، **ط.1**، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، 1988م، رقم الحديث: 6907، ص.336.

[62] – علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشَّافعي (ابن عساكر): **تاريخ مدينة دمشق**، تح: عمر بن غرامة العمروي، **ج.39**، **ط.1**، دار الفكر للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 1996م، ص.92.

[63] – أحمد بن عبد الله الأصفهاني: **حلية الأولياء**، المصدر السَّابق، **ج.1**، ص.56.

[64] – المصدر نفسه، **ج.1**، ص.55.

[65] – **أنضيتموهن**: أي أهلكتم الإبل وما وصلتم إليهن.

[66] – أحمد بن عبد الله الأصفهاني: **حلية الأولياء**، المصدر السَّابق، **ج.1**، ص.76.

[67] – مركز الإمام الجنيد للدِّراسات والبحوث الصُّوفيَّة المتخصِّصة: **رسائل الشَّيخ مُحَمَّد الحرَّاق**، تح: مُحَمَّد رشيد أكديرة، **ط.1**، دار أبي رقراق للطباعة والنَّشر، وجدة – المملكة المغربيَّة، 2012م، ص.101.

[68] – أحمد بن مُحَمَّد بن يعقوب بن مسكويه: **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**، تح وش: ابن الخطيب، **ط.1**، المطبعة المصريَّة ومكتبتها، القاهرة، 1978م، ص.67.

[69] – المصدر نفسه، ص.28.

[70] – نفسه، ص.67.

[71] – الحسين بن مُحَمَّد المفضل(الرَّاغب الأصفهاني): **الذَّريعة إلى مكارم الشَّريعة**، تح: أبو زيد العجمي، **ط.1**، دار السَّلام للنَّشر والتَّوزيع والتَّرجمة، القاهرة، 2007م، ص.207.

[72] – أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي: **إحياء علوم الدِّين**، المصدر السَّابق، كتاب رياض النَّفس، ص.955.

[73] – المصدر نفسه، كتاب كسر الشَّهوتين، ص.991.

[74] – مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب(ابن قيِّم الجوزيَّة): **مفتاح دار السَّعادة**، كتاب في العلم وفضله وبيان عموم الحاجة إليه، تح: عبد الرَّحمن بن حسن بن قائد، **ج.1**، دار علم الفوائد للنشر والتَّوزيع، مكَّة، 2011م، ص.145.

[75] – المصدر نفسه، كتاب تأمل تخصيص الإنسان بخلق الحياء، **ج.2**، ص.788.

[76] – ابن قيِّم الجوزيَّة: **مدارج السَّالكين**... المصدر السَّابق، **ج.2**، ص.18 – 19.

[77] – علي حرازم بن العربي برادة الفاسي: المصدر السَّابق، **ج.1**، ص.120.

[78] – المصدر نفسه، **ج.1**، ص.130 – 131.

[79] – **صحيح البخاري**، المصدر السَّابق، كتاب الأدب، باب: الحياء، **ج.3**، رقم الحديث: 6117، ص.161.

[80] – أحمد بن مُحَمَّد بن يعقوب بن مسكويه: المصدر السَّابق، ص.28.

[81] – أحمد بن مُحَمَّد بن يعقوب بن مسكويه: المصدر السَّابق، ص.28.

[82] – مُحَمَّد عبد الرَّحمن مرحبا: **الموسوعة الفلسفيَّة الشَّاملة. من الفلسفة اليونانيَّة إلى الفلسفة الإسلاميَّة، ج.1، ط.1**، عويدات للنَّشر والطِّباعة، بيروت، 2007م، ص.437.

[83] – أحمد بن مُحَمَّد بن يعقوب بن مسكويه: المصدر السَّابق، ص.67.

[84] – طه عبد الرَّحمن: **دين الحياء، من الفقه الائتماني إلى الفقه الائتماني، ج.1، ط.1**، المؤسسة العربيَّة للفكر والإبداع، بيروت، 2017م، ص.196.

[85] – علي حرازم بن العربي برادة الفاسي: المصدر السَّابق، **ج.1**، ص.120.

[86] – الحسين بن مُحَمَّد المفضل(الرَّاغب الأصفهاني): المصدر السَّابق، ص.207.

[87] – والمقصود بالجبن، هو الخوف المفرط من المُخاف منه، إمَّا أنْ يكون الله وما أحكمه في شريعته، وإمَّا أن تكون عادات وتقاليد وأعراف دآب عليها أصحابها في المجتمعات الإسلاميَّة التي تُعظِّم وتقدِّس الحياء لا يمكن الاستغناء عنها، ففي هذا المجال يصبح "الجبن" خوف مفرط في الوقوع في محضرته الشَّريعة أو الأعراف.

[88] – علي بن قاسم علي: **الحياء المفتقد**، تق: مُحَمَّد حسَّان و أحمد فريد، **ط.1**، مكتبة سلسبيل، القاهرة، 2008م، ص.30 – 31.

[89] – ابن قيِّم الجوزيَّة: **مفتاح دار السَّعادة**، المصدر السَّابق، **ج.1**، ص.145.

[90] – المصدر نفسه، **ج.2**، ص.788.

[91] – طه عبد الرَّحمن: المرجع السَّابق، ص.195.

[92] – ابن قيِّم الجوزيَّة: **مدارج السَّالكين**، المصدر السَّابق، **ج.2**، ص.20.

[93] – طه عبد الرَّحمن: المرجع السَّابق، ص.14.

[94] – علي حرازم بن العربي برادة الفاسي: المصدر السَّابق، **ج.1**، ص.194.

[95] – مُحَمَّد الحسن الدُّدو الشِّنقيطي: **كتاب دروس للشيخ مُحَمَّد الحسن الدُّدو الشِّنقيطي، ج.26**، ص.6. **ينظر الرابط:** https://shamela.ws/book/7722/710. تاريخ الزِّيارة: 2023/09/20م.

[96] – عبد الرَّزَّاق الكاشاني: **معجم اصطلاحات الصُّوفيَّة**، تح وتق وتع: عبد العال شاهين،**ط.1**، دار المنار للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، 1992م، ص.228.

[97] – المصدر نفسه، ص.347.

[98] – منها حديث عمر رضي الله عنه في سؤال جبريل عليه السّلام عن الإحسان؟ قال رسول اللهﷺ: «**أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ**». **ينظر، صحيح مسلم**، المصدر السَّابق، كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والاحسان...، **ج.1**، رقم الحديث:8، ص.36. **وينظر أيضاً، صحيح البخاري**، المصدر السَّابق، كتاب الإيمان، باب: سؤال جبريل النَّبيَّ ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، **ج.1**، رقم الحديث:50، ص.23.

[99] – سورة الذَّاريات: الآية.55.

[100] – بلجيلالي خيرة: **اللِّسانيات الجغرافيَّة وأثرها في توجيه الدَّلالة – دراسة في المنطوق الأسري للغرب الجزائري أنموذجا –**، أطروحة مُقدَّمة لنيل شهادة الدُّكتوراه (**غ.م**)، تخ: اللِّسانيات التَّطبيقيَّة، قسم الأدب العربي، كلِّيَّة الأدب العربي والفنون، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم – الجزائر، 2018م، ص.253 – 254.

[101] – محمود محمود غراب: **الإنسان الكامل والقطب الغوث الفرد. من كلام الشَّيخ الأكبر محي الدِّين بن العربي، ط.2**، مطبعة الكتاب العربي، دمشق، 1990م، ص.18 – 19.

[102] – ﴿**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَلِحًا قَالَ يَقَوْمِ أُعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ واسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ**﴾. (سورة هود:الأية.61) فمعنى «**استعمركم فيها**» جعلكم عماراً تُعمرونها وتستغلونها. **ينظر**، إسماعيل بن كثير الدِّمشقي: **تفسير القرآن العظيم، ج.2، ط.1**، دار الفكر، بيروت، 2002م، ص.931.

[103] – قال الله تعالى:﴿**وَهُوَ الَّـذِي جَـعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ**...﴾. سورة الأنعام: الأية.165. أيْ: «جعلكم تُعمِرونها جيلاً بعد جيل، وقرناً بعدَ قرن، وخلفاً بعد سلف». وقال تعالى أيضاً: ﴿..**ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾. (سورة يونس:الأية.14) وشرح رسول الله ﷺ هذه الآية بالحديث التَّالي فقال: «إِنَّ الدُّنيَا حُلْوَةٌ خَضْرَاءُ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا واتَّقُوا النِّساءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَة بَنِي إِسْرَائِيل كَانَتْ مِنَ النِّسَاء». ينظر، إسماعيل بن كثير الدِّمشقي: المصدر السَّابق، **ج.2**، ص.898.

[104] – علي حرازم بن العربي برادة الفاسي: المصدر السَّابق، **ج.1**، ص.130 – 131.

[105] – **مُحَمَّد بن علي بن الحسين التِّرمذي** (الحكيم التِّرمذي): **شرح كتاب الأمثال من السُّنة والكتاب**، إع: علي أحمد عبد العال الطَّهطاوي، **ط.1**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 2007م، ص.40 – 41.

[106] – قال تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا**﴾. فالذي يعقل هو القلب، وليس الدِّماغ كما يتبادر لبعض النَّاس. ولهذا اهتم الصُّوفيَّة بتزكية القلوب وتنظيفها وجعلها محلّ نظر الله جلاً وعلا، لأنَّ القلب أمير على الجوارح. **ينظر، مُحَمَّد بن علي بن** الحسين التِّرمذي (الحكيم التِّرمذي): **رياض النَّفس**، تق و تع: إبراهيم شمس الدِّين، **ط.2**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 2005م، ص.66.

[107] – قال رسول الله «**إِنَّ اللَّهَ يبعثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ على رأسِ كلِّ مائةِ سنةٍ من يجدِّدُ لَها دينَها**». ويقصد به من يجد أمر الدِّين اعتقاداً وسلوكاً. ينظر، (أبو داوُد): **سنن أبي داود**، المصدر السَّابق، كتاب الملاحم، باب: ما يذكر في قرن المئة، رقم الحديث:4291، ص.768. **وينظر أيضاً**، علاء إبراهيم عبد الرَّحيم: حديث «**إِنَّ اللَّهَ يبعثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ على رأسِ كلِّ مائةِ سنةٍ من يجدِّدُ لَها دينَها**» **بيان وردُّ التباس**، الورقة.**184**، مركز سلف للبحوث والدِّراسات، مكة المكرَّمة، (د. ت. ن)، ص.4 – 5.

[108] – قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ حيِيٌّ كريمٌ يستحي إذا رفعَ الرَّجلُ إليْهِ يديْهِ أن يردَّهما صفرًا خائبتينِ**». **ينظر، سنن التِّرمذي**، كتاب الدَّعوات، باب: دعاء النَّبي، رقم الحديث: 3556، ص.808.

[109] – سورة النَّجم: الأية.5.

[110] – سورة الانفطار: الأية.6.

[111] – **مراسلات الشَّيخ أحمد التِّجاني، ج.1**، (مخطوط بخزانة الزَّاوية الأمّ بعين ماضي لصاحبها محمَّد الحبيب بن الحاج أَحْمَّد التِّجاني)، ص.114.